

صور من جهاد الصوفية في القرنين الثاني والثالث الهجريين

أسعد الخطيب^(١)

التصوف باختصار هو مجمل تراثنا الروحي، وهو جزء هام من تراثنا العربي الإسلامي لا يمكن التنازل عنه، أو تجاهله بأي حال من الأحوال.

ولقد ذهب معظم علمائنا المتقدمين كالتشيري في رسالته، وابن خلدون في مقدمته، والذهبي في تواريخه، إلى أن التصوف بزغ مع فجر الإسلام، وهو لب ديننا الحنيف.

يقول الذهبي: "... إنما التصوف والتأله والسير والمحبة، ما جاء به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله (١)".

ويعيننا هنا في هذه الدراسة الموجزة، العبارة الأخيرة من كلام مؤرخنا الكبير، أي الجانب الجهادي أو القتالي عند الصوفية.

ولا نعدو الصواب إذا قلنا: إن هذا الجانب الهام غفل عن الخوض فيه جل الدارسين لهذا العلم ورجاله. بل حاولت فئة واسعة من المستشرقين، وبعض من هذا حذوهم من الباحثين المعاصرين، أن يصم التصوف بالخمول والكسل، والضعف والخنوع، والتهاون عن مقارعة الغزاة وصد المعتدين.

ولعمري إننا لا نعرف من أين جاءت هذه الإشاعات والترهات، مع أن واقع الحال يخالف ذلك تماماً، فالنصوص والأخبار والآثار التي في بطون أمهات الكتب تؤكد أن الجهاد بفرعيه: الأكبر والأصغر، أي جهاد النفس وجهاد الأعداء دارت عليه رحى التصوف. وأن هذين الجهادين ركنان أساسيان في الحياة الروحية الإسلامية، يشير الشيخ ابن عربي إلى ذلك في وصاياه قائلاً: "... وعليك بالجهاد الأكبر، وهو جهاد هوائك، فإنك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد، خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء الذي أن قتلت فيه كنت من الشهداء الذين عند ربهم يرزقون..." (٢).

(١) باحث متخصص في التراث الصوفي.

وكيف يغيب عن بال الصوفية الآيات الكثيرة والأحاديث الشهيرة التي تبين فضل الرباط والجهاد، وهم خواص أهل السنة، كما يقرر الإمام القشيري في رسالته، وإن خلت مصنفاتهم من الإشارة إلى موضوع الجهاد الحربي إلا مائدر، كقول أبي طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ): "... ولذلك صار الجهاد أفضل لأنه حقيقة الزهد في الدنيا" (٣).

وقريب من ذلك ماجاء في كتاب الإحياء للإمام الغزالي:

"... إن المنافقين كرهوا القتال، خوفاً من الموت، أما الزاهدون المحبون لله تعالى، فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص" (٤) وفي موطن آخر يقول حجة الإسلام: "ولقد عظم الخوف من أمر الخاتمة فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة" (٥).

أما ابن عربي وهو شيخ الصوفية الأكبر فيقول في الفتوحات، متحدثاً عن أصناف الأولياء: "... ومنهم السائحون، وهم المجاهدون في سبيل الله، لأن المفاوز المهلكة البعيدة عن العمران، لا يكون فيها ذكر الله من البشر، لزم بعض العارفين السياحة صدقةً منهم على البيداء التي لا يطرقها إلا أمثالهم، والجهاد في أرض الكفر التي لا يوحد الله تعالى فيها، فكان السياحة بالجهاد، أفضل من السياحة بغير الجهاد..." (٦).

والملاحظ أنه عندما ظهر التصوف رافقته مجموعة من الفضائل المستمدة من الفتوة، وفي مقدمتها: الشجاعة والتضحية. يقول العارف سهل التستري (ت ٢٧٣ هـ): "أصل هذا الأمر الصدق والسخاء والشجاعة" (٧). ويذكر غيره: "الأساس الأول للصوفي هو تقوية الصلة بالله، والشجاعة بالقتال للجهاد" (٨).

وقد جاء رجل إلى رويم البغدادي أحد كبار العارفين (ت ٣٠٣ هـ)، وقال له: "أوصني، فقال: أقل مافي هذا الأمر بذل الروح، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. وعلق على ذلك الشيخ الهجويري (ت ٤٦٥ هـ) في كشف المحجوب شارحاً: "أعني كل شيء غير هذا هو ترهات، وقد قال تعالى: "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء...." (٩).

ولا نريد الإسهاب في هذه التوطئة أكثر من ذلك، وزبدة القول:

إن العباد والزهاد ومن بعدهم الصوفية، استنوا لأنفسهم سنة "المرابطة" (١٠). فشدوا الرحال إلى ميادين القتال، لوعظ المجاهدين، وتقوية عزائمهم، والمجاهدة معهم. يقول يحيى بن معاذ الرازي (ت ٢٥٨ هـ) مشيراً إلى أن من شروط الصوفية السياحة للجهاد:

ومن الدلائل أن تراه مسافراً نحو الجهاد وكل فعل فاضل (١١).

ومع الاعتراف بأن الذي ساعد على توافد الصوفية وسياحتهم في العواصم والتغور بهذه الأعداد الوفيرة، هو الفرار من مشاهد الفتن، وتطاحن الأحزاب التي برزت إبان العصرين الأموي والعباسي،

وغرق كثير من الناس في ملذات الدنيا وشهواتها، فوجد هؤلاء في هجرتهم إلى تلك الأماكن آفاقاً رحبة لجهادهم، ورضى نفوسهم وراحتهم.

يقول أحمد بن أبي الحواري (ت ٢٣٠ هـ): "في الرباط والغزو نعم المستراح إذا مل العبد من العبادة، استراح إلى غير معصية" (١٢).

ولنتنقل الآن إلى أرض الواقع، ونورد شواهد حية من جهاد الصوفية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وقد اخترنا هذه الحقبة لصفاتها من الشوائب، ولأنه تم فيها وضع أسس ومرتكزات علم التصوف وقواعده. قال الإمام الجنيد (ت ٢٩٧ هـ): "طوي بساط هذا العلم منذ خمسة عشر عاماً، وإنما نتكلم في حواشيه".

فمع بواكير القرن الثاني يطالعنا الحسن البصري - رحمه الله - (ت ١١٠ هـ) الذي يعده الصوفية في هرم سلسلة شيوخهم وناشر علومهم. قال أبو طالب المكي: "كان الحسن رضي الله عنه أول من أنهج سبيل هذا العلم، وفتق الألسنة به، ونطق بمعانيه، وأظهر أنواره، وكشف قناعه" (١٣). وذكر الحفاظ: "لازم الحسن العلم والعمل، وكان أحد الشجعان الموصوفين في الحرب" (١٤).

وعن ابن سعد أن رجلاً سأل الحسن: يا أبا سعيد هل غزوت؟! قال: نعم (١٥)، وقال أيضاً: "غزونا إلى خراسان ومعنا ثلاثمائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦). واشتهر عن الحسن قوله: أدركت سبعين بديراً ما كان لباسهم إلا الصوف.

من مآثوراته: "ما عمل عملٌ بعد الجهاد في سبيل الله، أفضل من ناشئة الليل" (١٧).

ومن أعظم من لحق بالحسن بالبصري، واختلف إلى حلقة وتأثر بمواعظه:

محمد بن واسع - رحمه الله - (ت ١٢٣ هـ)، ومالك بن دينار (ت ١٣١ هـ). وقد رافق الأول والي خراسان قتيبة بن مسلم في فتح ماوراء النهر، وكانت عليه مدرعة صوف خشنة (١٨). وقد جعل قتيبة مرة يكثر السؤال عنه فأخبر أنه في ناحية من الجيش متكئاً على قوسه، رافعاً أصبعه إلى السماء، فقال قتيبة: لأصبعه تلك أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير (١٩) كان ابن واسع كثير الصمت، ومن كلامه: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه (٢٠).

وأما مالك بن دينار - رحمه الله - فهو يعد من كبار رجال الطريقة، وقد هجر الدنيا وانزوى عن أهلها. يروي صاحب كنوز الأولياء عنه: أنه كان في طلب الغزو سنين، فركب بعسكر الإسلام للغزو، فلما شرعوا، أخذته الحمى، حتى غدا لا يقدر القعود على الفرس، فضلاً عن أن يقاتل، فحملوه إلى الخيمة، وجعل يبكي ويقول: لو أن في بدني خيراً لما ابتلى اليوم بالحمى (٢١).

وفي الطبقة نفسها يلقانا طائفة من العارفين المجاهدين، منهم: أبو الصهباء صلة بن الأشيم - رحمه الله - من كبار التابعين العباد، وقد تزوج من العابدة معاذة، التي روت أن زوجها كان يصلي حتى يأتي فراشه زحفاً. وقال ابن حبان في سياق كلامه عن صلة: كان يرجع إليه الجهد الجهد،

والورع الشديد، مع المواظبة على الجهاد براً وبحراً، دخل سجستان غازياً، وقتل بكابل في ولاية الحجاج بن يوسف. (٢٢).

ومنهم عتبة الغلام -رحمه الله- (ت ١٦٠هـ) أحد الزهاد المشهورين البكائين. جاء في الحلية عن عتبة أنه قال: "اشتروا لي فرساً يغيظ المشركين إذا رأوه. (٢٣) ونقل عن ابن مخلد الصوفي قال: جاءنا عتبة الغلام، فقلنا له: ما جاء بك؟ قال: جئت أغزو، فقلت: مثلك يغزو! فقال: إني رأيت في المنام أني آتي (المصيصة) (٢٤)، فأغزو فأستشهد، قال: فمضى مع الناس فلقوا الروم، فكان أول رجل استشهد. من مآثراته، لا عقل كمخالفة الهوى، ولا فقر كفقر القلب، ولا فضيلة كالجهاد.

ومنهم عبد الواحد بن زيد -رحمه الله- (ت ١٧٧هـ) يقول: قرأ أحد أصحابنا الآية الكريمة: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" فتهياناً إلى الغزو.... (٢٥)، ويعد عبد الواحد من الشيوخ الكبار الذين تكلموا في مواجيد الصوفية وأدواقهم، وهو من طليعة من استفاضوا في الحديث عن مقام الرضا، والحب المتبادل بين الله عز وجل وأوليائه. وقد أسند عن الحسن البصري قوله: "لكل طريق مختصر، ومختصر طريق الجنة الجهاد" (٢٦).

ومنهم رباح القيسي -رحمه الله- (ت ١٧٧هـ) الولي الشهير وقد ارتبطت حياته بتلامذة الحسن البصري، ونال شرف الشهادة وهو يخوض بفرسه غمار إحدى المعارك ضد أعداء الدولة الإسلامية. (٢٧).

من كلامه: من المستحيل أن تنظر قلوب محبي الدنيا إلى نور الحكمة.

ومنهم إبراهيم بن أدهم -رحمه الله- (ت ١٦١هـ) الذي يعد إمام المتصوفين الروحانيين، كان أبوه ملكاً، لكن الابن تزهّد اختياراً، وساج في البلاد، وجعل الثغور الإسلامية له مقاماً، يذكره ابن عساكر أنه كان فارساً شجاعاً، ومقاتلاً بأسلاً، رابط في الثغور، وخاض المعارك على البيزنطيين (٢٨)، وقال ابن حبان: إبراهيم بن أدهم مولده ببلخ، ثم خرج إلى الشام طلباً للحلال المحض، فأقام بها غازياً ومرابطاً إلى أن مات، واختلف في وفاته، والأصح ما ذكره ابن كثير ويقوت أنه مات وهو قابض على قوسه يريد الرمي به إلى العدو" (٢٩).

ومنهم شقيق البلخي -رحمه الله- (ت ١٩٤هـ) صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق. قال حاتم الأصم: كنا مع شقيق نحارب الترك، في يوم لا ترى إلا رؤوس تطير، ورماح تقصف، وسيوف تقطع فقال لي: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟! تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفّت إليك امرأتك؟؟ قال: لا والله. قال: لكني والله، أرى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة. واستشهد شقيق في غزاة كوملان (٣٠) فيما وراء النهر.

وحكاية أخرى عن شقيق البلخي نرويه هنا للفائدة، قال: خرجنا في غزاة لنا في ليلة مخوفة، فإذا رجل نائم، فأيقظناه، فقلنا: تنام في مثل هذا المكان؟! فرفع رأسه وقال: إني لأستحي من ذي العرش أن يعلم أنني أخاف شيئاً دونه.

ومنهم علي بن بكار - رحمه الله - (ت ١٩٩هـ)، سكن ثغر المصيصة مرابطاً إلى أن مات بها. وصفه صاحب الحلية بـ "الم رابط الصبار، والمجاهد الكرّار، كان يصلي الغداة بوضوء العتمة".

قال ابن الجوزي: بلغنا عن علي بن بكار أنه طعن في بعض مغازيه، فخرجت أمتعاه، فردها إلى بطنه، وشدها بالعمامة، إلى أن قتل ثلاثة عشر علجاً (٣١).

ومنهم عبد الله بن المبارك - رحمه الله - (ت ١٨١هـ) قال عنه صاحب تاريخ بغداد: "كان من الريانيين في العلم، ومن المذكورين بالزهد.. خرج من بغداد يريد [ثغر] المصيصة، فصحبته الصوفية... (٣٢). والقصة طويلة وطريفة، وتحتاج إلى مكان أرحب. وابن المبارك أول من صنف بالجهاد ومع ذلك كان يفسر قوله تعالى: "وجاهدوا بالله حق جهاده"، هو مجاهدة النفس والهوى. وقد صدرت تراجم الصوفية باسمه.

وكانت وفاته في بلدة "هيت" بالعراق عند انصرافه من الغزو. (٣٣).

ومنهم أبو سعيد الشهيد - رحمه الله - ووصف بأنه صاحب بأس شديد، وقد حمل في إحدى الغزوات، وقتل نفراً من الأعداء قبل أن يستشهد. وقد أنشد قبل موته:

أحسن بمولاك سعيد ظننا هذا الذي كنت تمنى

تنح يا حور الجنان عنا مالك قاتلنا ولا قتلنا

لكن إلى سيدكن اشتقنا قد علم السر وما أعلننا (٣٤).

ومنهم أبو اسحاق الفزاري - رحمه الله - (ت ١٨٣هـ)، وقد أطلق عليه ابن كثير: "إمام أهل الشام في المغازي" (٣٥)، وترجم له صاحب الحلية: "تارك القصور والجواري، ونازل الثغور والبراري". قيل عنه: إنه كان إذا قرأ القرآن بكى وأبكى.

ومنهم أبو العباس السّمّاك - رحمه الله - وكان يرتاد الثغور مع أقرانه (٣٦)، وله مواقف في الدفاع عن أرض الإسلام، وفي وعظ الخليفة هارون الرشيد. ومن وعظه له: اتق الله، فإنك رجل مسؤول عن هذه الأمة، فاعدل في الرعية، وانفر في السرية.

ويفرد لنا الجوزي فصلاً خاصاً في كتابه (صفة الصفة) للزهاد والصوفية الأوائل الذين رابطوا في العواصم والثغور في القرن الثاني، نذكر منهم الشهيد ابن أبي اسحق السبيعي، وحارس ثغر المصيصة محمد بن يوسف الأصبهاني، وحارس ثغر طرسوس أبا معاوية الأسود، والغازي أبا يوسف الغسولي، والفتى الم رابط يوسف ابن اسباط (٣٧). (ت ١٩٩هـ) رحمهم الله جميعاً.

ونطوي أسماء وأسماء من رهبان الليل وفرسان النهار من أهل القرن الثاني، ليستوقفنا القرن الثالث وما يحوي من إشارات واضحة لمئات من المتطوعين الصوفيين، خرجوا من ديارهم، ووقفوا

حياتهم على جهاد للروم، ودرء خطرهم عن البلاد الإسلامية، وكان مشايخهم يرافقونهم للموعظة والإرشاد، وبث الحماسة الدينية، فكان لذلك أبعد الأثر في الصمود والنصر في كثير من المواقع (٣٨).

فمما يستفاد من رواية لابن العديم أنه في هذا العصر، تجمع الصوفية من كل صوب في ثغور الشام، إذ وفدوا إليها للجهاد في سبيل الله. ومنهم: أبو القاسم الأبار، وأبو القاسم القحطبي، وأبو القاسم الملطي، رحمهم الله. (٣٩).

ومن مشاهيرهم حاتم الأصم رحمه الله (ت ٢٣٧ هـ) كان يقال له لقمان هذه الأمة. ومما حدث به حاتم عن نفسه، قال: لقينا الترك، ورماني أحدهم بوهق [حبل] فأقلبني عن فرسي، ونزل عن دابته فقع على صدري، وأخذ بلحيتي هذه الواقعة، وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني بها، فرماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقة، فسقط عني، فأخذت السكين من يديه فذبحته (٤٠)، وتوفي حاتم وهو مرابط على جبل فوق واشجرد. (٤١).

ومنهم عسكر بن حصين أبو تراب النخشي - رحمه الله - (ت ٢٤٥ هـ) من كبار مشايخ القوم المذكورين بالعلم والفتوة والتوكل، وعن جهاده يخبرنا ابن عساكر أن موطن أبي تراب الأصلي خراسان، إلا أنه خرج منها يريد عبدان والثغر (٤٢). من كلامه: العارف لا يكره شيء ويصفو به كل شيء.

* ومنهم السري السقطي - رحمه الله - (ت ٢٥٣ هـ) الذي ينتمي إليه أكثر مشايخ الصوفية، حكى عنه المؤرخون بعض المجاهدات مارسها أثناء نزوله في أرض الروم (٤٣)، ويتجلى رأيه في الجهاد حين فسر لأهل الثغر الآية الكريمة: "اصبروا وصابروا ورابطوا" فقال: صابروا عند القتال بالثبات والاستقامة.

قال الحسن البزار: سألت أحمد بن حنبل عن السري بعد قدومه من الثغر فأثنى عليه (٤٤). من كلامه من صفات الصوفي أن لا يتكلم بباطن علم، ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة.

ومنهم أبو سليمان الداراني - رحمه الله - (ت ٢٠٥ هـ) العارف المشهور، وهو ممن كان يرتاد الثغور (٤٥). وتلميذه أحمد بن أبي الحواري رحمه الله، ربحته الشام كما كان يسميه الجنيد. وقد شوهد مرابطاً في ثغر انطرسوس يجاهد في سبيل الله (٤٦). وتقدم قوله: في الغزو والرباط نعم المستراح.

ومنهم أبو يزيد البسطامي - رحمه الله - (ت ٢٦١ هـ) الملقب سلطان العارفين. كان خلال وجوده في الثغر يحرس طوال الليل ويذكر الله، ومن أقواله: لم أزل منذ أربعين سنة، ما استندت إلى حائط، إلا حائط مسجد أو رباط، ويقول أيضاً: أقامني الحق مع المجاهدين، أضرب بالسيف في وجه أعدائه (٤٧).

ومنهم محمد أبو حمزة الصوفي - رحمه الله - (ت ٢٦٩هـ) جالس أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث، وكان له مهر قد رباه، وكان يحب الغزو عليه. (٤٨).

قال الجنيد: حبيب إلي أبو حمزة الغزو، وكان يأتي بلاد الروم، والناس بالسلاح وعليه جبة صوف (٤٩). ويقال إنه أول من أظهر الكلام في المحبة والشوق وجمع الهمة وصفاء الفكر.

ومنهم اسماعيل أبو إبراهيم الصوفي رحمه الله قال عنه الخطيب في تاريخه: ".... كان مذكوراً بالخير والفضل وكثرة الغزو والحج" (٥٠).

ومنهم أحمد عاصم الأنطاكي رحمه الله، وهو من أقران الحارث المحاسبي المتوفى سنة (٢٤٣هـ) وهو من متقدمي مشايخ الثغور. (٥١).

ومن أكابرهم أستاذ القوم أبو القاسم الجنيد البغدادي رحمه الله (ت ٢٩٨هـ) وقد أجمع العلماء قاطبة على فضله وإمامته حتى عده ابن الأثير: "عالم الدنيا في زمانه" وقال ابن تيمية فيه: "الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة، إمام هدى"، إلى أن قال: "ومن خالفه فمن أهل الضلال. (٥٢) وعن جهاده في سبيل الله يقول الجنيد: "وخرجت يوماً في بعض الغزوات، وكان قد أرسل إلي أمير الجيش شيئاً من النفقة، فكرهت ذلك، ففرقته على محاييغ الغزاة" (٥٣). من مآثراته التي قطع فيها الطريق على المنحرفين والمتشبهين بهذه الطائفة قوله: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وإذا كان أئمة من العارفين ترددوا إلى الثغور لنيل نصيب من شرف الجهاد، فإن هناك جماعات منهم استوطنت المدن الثغرية "وكان لها دور هام في حياتها المدنية والجهادية، وعرفوا بالشيوخ المسجدية، كانوا يصلون نافلة نهارهم أجمع، لا يشغلهم عن ذلك إلا النداء بالنفير، أو الغزو، أو تشييع جنازة من يموت من الصالحين، أو عيادة مريض من المجاهدين. (٥٤).

منهم أبو عبد الله النباجي - رحمه الله - (ت ٢٢٥هـ تقريباً) كان إمامهم في الصلاة في ثغر طرسوس، سئل مرة: لماذا لم تخفف الصلاة وقد أعلن النفير؟! قال: ما حسبت أن أحداً يكون في الصلاة فيقع في سمعه غير ما يخاطب الله عز وجل (٥٥).

ومنهم أبو العباس الطبري رحمه الله، وفي قصة موته: أنه كان يعظ المجاهدين في طرسوس، فأدركته مما كان يصف من جلال الله وملكوته وجبروته، فخر مغشياً عليه من الموت. (٥٦).

ومنهم زهير المروزي - رحمه الله - (ت ٢٥٨هـ) وقد رابط أواخر عمره في ثغر طرسوس إلى أن مات، يروي عن البغوي قوله المشهور: مارأيت بعد أحمد بن حنبل أزهـد من زهير، سمعته يقول: أشتي لحمًا ولا آكله حتى أدخل الروم، فأكله من مغنم الروم (٥٧).

ويبدو أن بعض الصوفية ركب البحر غازياً، ويكفي أن نذكر منهم:

علي الرازي المذبوح رحمه الله، وهو أستاذ أبي تراب النخشي (٥٨) وهناك فريق من العارفين المجاهدين لم يذكر لنا المؤرخون أسماءهم، وإنما نقلوا إلينا طرفاً من أخبارهم في الزهد

والجهاد. مثل على ذلك ماروى ابن عساكر عن أبي القاسم الجوعي (ت ٢٤٨ هـ) قال : رأيتُ في الطواف رجلاً لا يزيد في دعائه: إلهي قضيتُ حوائج الكل ولم تقض حاجتي فقلت ما حاجتك؟! قال : أحدثك: اعلم أنا كنا سبعة أنفس، خرجنا إلى الغزاة، فأسرنا الروم، ومضوا بنا لنقتل، فرأيت سبعة أبواب فتحت في السماء، وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين، فضربت أعناق ستة منا، فاستوهني بعض رجالهم، فقالت الجارية: أي شيء فاتك يامحروم، وأغلق الباب، فأنا يا أخي متحسر على ما فاتني. (٥٩).

وروى أبو القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ) أن فارساً صوفياً استطاع في بعض الغزاة قتل أحد شجعان عسكر الروم، بعدما قتل هذا الرومي ثلاثة من الفرسان المسلمين. (٦٠).

وفي الختام من المناسب أن نذكر مبادئ الصوفية في الجهاد، كما لخصها لنا الإمام الشعراني رحمه الله (ت ٩٣٧ هـ).

- أخذ علينا العهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلنا ثغراً من ثغور المجاهدين أن ننوي المراقبة مدة إقامتنا ولو لم يكن هناك عدو، لاحتمال أن يحدث عدو.

- أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسأل ربنا أن نموت شهداء في سبيل الله، لا على فراشنا، فإن لم يحصل لنا مباشرة ذلك، حصل لنا النية الصالحة وحصل الأجر كاملاً.

- أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يقسم لنا جهاد، ألا ننفر من الأمور التي تلحقنا بالشهداء في الثواب الأخروي. (٦١).

وأخيراً أرجو أن أكون في هذا العرض السريع، قد أزحت عن وجه من وجوه تراثنا المشرق، ماعلق به من فساد الدهر، وماتراكم عليه من غبار الزمن.

وألقيت الضوء على أبطال ميامين، وأولياء صادقين، عرفهم من عرفهم، وجهلهم من جهلهم. إنهم بلا شك ورثة تلك النماذج من الصحابة الكرام الأعلام، أمثال: علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وسواهم.

وما أحسن وصف الشاعر الصوفي البوصيري لهم حين قال:

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم ماذا رأى منهم في كل مصطدم

وعلى كل فإن هذا البحث يفتح آفاقاً جديدة، ويحتاج إلى دراسة واسعة أشمل، لأن مثل هذه الدراسة لن تعمق فهمها واحترامنا لتراثنا الروحي فحسب، ولكنها سوف تعمق وعينا بأنفسنا، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وهذا مطلب بالغ الأهمية في هذه المرحلة من تاريخنا.

المصادر والمراجع والهوامش

- ١- سير أعلام النبلاء: للذهبي: (مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦) ج ١٥- ص ٤١٠.
 - ٢- الوصايا: لابن عربي. (مؤسسة الأعلمي، بيروت د.ت) ص ٣٧ وما بعدها.
 - ٣- قوت القلوب: لأبي طالب المكي. (ط الميمنية، مصر ١٣١٠ هـ) ج ١ ص ٦٤.
 - ٤- أحياء علوم الدين: للغزالي. (دار الفكر، دمشق ١٩٩٤) ج ٤، ص ٢٤٢.
 - ٥- المصدر السابق ج ١ ص ٣٥٩.
 - ٦- الفتوحات المكية: لابن عربي. (دار صادر، بيروت د.ت) ج ٢ ص ٣٣.
 - ٧- أحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٠٩.
 - ٨- الفتوة في الإسلام وصلة الفتوة بالتصوف: لإبراهيم الجمل. (نهضة مصر ١٩٩٢)، ص ٢٦.
 - ٩- كشف المحجوب: للهجويري. (القاهرة ١٩٧٦) ص ٢٣٢.
 - ١٠- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: لعلي سامي التشار. (دار المعارف، مصر ١٩٧٨)؛ ص ٤٤، ص ٣٢٢. والمرابطة كما ذكر المقرئ في خطه: "ملازمة ثغر العدو، وقيل لكل ثغر يدفع أهله عن وراءهم رباط، فالمجاهد المرباط يدفع عن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن البلاد والعباد".
 - ١١- إحياء علوم الدين ج ٤- ص ٣٥٧.
 - ١٢- طبقات الصوفية: لأبي عبد الرحمن السلمي. (دار الكتاب النفيس، حلب ١٩٨٦)، ص ١٠١.
 - ١٣- قوت القلوب ج ١، ص ١٥٠.
 - ١٤- تنكرة الحفاظ: للذهبي ج ١ ص ٧١. تهذيب التهذيب: للعسقلاني ج ١، ص ٤٨٣.
 - ١٥- الطبقات الكبرى: لابن سعد. (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت) ج ٣ ص ١٧٥.
 - ١٦- تهذيب الأسماء واللغات؛ للنووي. (بيروت د.ت) ج ١- ص ١٦٢.
 - ١٧- الزهد: للإمام أحمد بن حنبل. (دار الدعوة، الإسكندرية ١٩٨٧)، ص ٣٤٨.
 - ١٨- العقد الفريد: لابن عبد ربه ج ٦ ص ٢٢٥. الإحياء: ج ٤، ص ٢٤٩.
 - مشاهير علماء الأمصار: لابن حبان. (القاهرة ١٩٥٩)، ص ١٥١.
 - ١٩- البيان والتبيين: للجاحظ: (القاهرة ١٩٤٨) ج ١، ص ٢٧٣.
 - ٢٠- التعرف لمذهب أهل التصوف: للكلاباذي. (بيروت ١٩٩٣). ص ١١٥.
- ويعلق الهجويري على هذه العبارة: إن المرء عندما تغلبه المحبة للذات الإلهية، يصل إلى مرحلة لا يرى فيها الصنع وإنما يرى الصانع. وقال الشيخ ابن عربي في الفتوحات (ج ٤ ص ٣٧٩): ومقال بالاتحاد- إلا أهل الإلحاد، ومن قال بالحلول فهو معلول بلا دواء له.

- ٢١- كنوز الأولياء: للزيلي الحنفي. (مخطوط بمكتبة الأسد، رقم ٢٩٢٧)، الورقة ٦٠ أ. وانظر أيضاً عن جهاد عبد الواحد: حلية الأولياء ج ٦ ص ١٦٢. وجهاد مع أعداء الإسلام في غزو الإسلام).
- ٢٢- مشاهير علماء الأمصار ص ١٨٥.
- ٢٣- حلية الأولياء: لأبي نعيم. (بيروت ١٩٨٥) ج ٦ ص ٢٢٧-٢٢٨.
- ٢٤- المصيصة، قال ياقوت في معجم البلدان: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، رابط بها الصالحون قديماً.
- ٢٥- روض الرياحين في حكايات الصالحين: للياقين: (مط الإبراهيمية، مصر د.ت)، ص ٣٦.
- ٢٦- حلية الأولياء ج ٦ ص ١٥٧.
- ٢٧- المصدر السابق ج ٦ ص ١٩٤.
- ٢٨- انظر: تهذيب تاريخ دمشق: لبران. (بيروت ١٩٧٩) ج ٢، ص ١٧٩. وانظر مقال: إبراهيم بن أدهم، مجلة التراث العربي، (العددان ١١ و ١٢ لعام ١٩٨٣).
- ٢٩- البداية والنهاية: لابن كثير (بيروت ١٩٦٦) ج ١٠ ص ١٤٥. معجم البلدان مادة "سوقين".
- ٣٠- سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣١٣. تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٣٣٥.
- ٣١- صفة الصفوة: لابن الجوزي. (طبعات متعددة). والعج: هو الرجل القوي الضخم من كفل العجم = لسان العرب.
- ٣٢- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (دار الكتب العلمية، بيروت د.ت) ج ١٠ ص ١٥٧.
- ٣٣- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: للمناوي. (مصر ١٩٣٧) ج ١ ص ١٧٦.
- ٣٤- حلية الأولياء ج ١٠، ص ١٦٥.
- ٣٥- البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٠٠.
- ٣٦- حلية الأولياء ج ٨ ص ٢٠٧.
- ٣٧- صفة الصفوة ج ٤، ص ٢٥٥. وفي مواضع متفرقة. وطرسوس: في مدينة بثلغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم.
- ٣٨- انظر مقال (المطوعة ودورهم في حراسة ديار العروبة والإسلام). مجلة العربي "الكويتية" العدد ٢٨٧، ت ١، ١٩٨٢.
- ٣٩- انظر بغية الطلب في تاريخ حلب: لابن العديم. (دمشق ١٩٨٨) ج ١٠، ص ٤٥٩١. وانظر: الحياة السياسية في بلاد الشام: لأمينة بيطار. (دمشق ١٩٨٠) ص ٣٨٠.
- ٤٠- الأعلام للزركلي. (بيروت ١٩٨٩) ج ٢، ص ١٥٢.

❖❖❖ التراث العربي ❖❖❖

- ٤١- شذرات الذهب: لابن العماد الحنبلي. وفيات ٢٣٧ هـ. ومن أقوال حاتم: الجهاد ثلاثة: جهادك في شرك مع الشيطان حتى تكسره، وجهادك في العلانية في أداء الفرائض، وجهادك مع أعداء الإسلام في غزو الإسلام).
- ٤٢- تاريخ دمشق: لابن عساكر. (ط مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٩٧)، المجلد ٤٧، ص ٣٥٨.
- ٤٣- انظر: تاريخ بغداد ج ٩، ص ١٨٨.
- ٤٤- صفة الصفوة ج ٢، ص ٣٧٨.
- ٤٥- البداية والنهاية، وفيات ٢٠٥ هـ.
- ٤٦- الزاهد العنسي أبو سلمان الداراني: الرياض شحادة. (دمشق ١٩٩٧)، ص ١٨٤.
- ٤٧- أبو يزيد البسطامي: لعبد الحلیم محمود، (بيروت د.ت) ص ٧٣.
- ٤٨- تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٩٠.
- ٤٩- طبقات الأولياء: للخاوي. (مخطوط بمكتبة الأبد، رقم ١٦٦٢٧) ورقة ٦١ أ.
- ٥٠- تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٨٤.
- ٥١- صفة الصفوة ج ٢، ص ٢٧٨.
- ٥٢- شرح حديث النزول: لابن تيمية. (بيروت ١٩٧٧)، ص ١٢٣.
- ٥٣- روض الرياحين في حكايات الصالحين. ص ٢١١.
- ٥٤- انظر مقال: (حياة الناس في مدن الثغور)، مجلة دراسات تاريخية: العدد ٤ لعام ١٩٨١.
- ٥٥- صفة الصفوة، ج ٤ - ص ٢٧٩.
- ٥٦- العصر العباسي الثاني: لشوقي ضيف. (دار المعارف. نصر د.ت). ص ٤٧٣.
- ٥٧- تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٨٤.
- ٥٨- طبقات الأولياء: لابن الملقن. (بيروت ١٩٨٦)، ص ٣٥٥.
- ٥٩- تاريخ دمشق، المجلد ٤٣ ص ٣٢٨. قلت: وهذا من باب الكشف عند الصوفية، يذكر ابن خلدون في مقدمته ص ٣٢٩: "أن المجاهدة والخلوة، يتبعها غالباً حجاب الحس، والإطلاع على عوالم من أمر الله... وقد وقع مثل هذا لكثير من الصحابة، كقول عمر رضي الله عنه: يأسارية الجبل الجبل، وهو على منبر المدينة وسارية بنها وند.
- ٦٠- انرسالة القشيرية: لأبي القاسم القشيري. (بيروت د.ت) ص ٦١.
- ٦١- لوائح الأنوار القدسية في بيان العهود، المحمدية: للشعراني. (حلب ١٩٩١)، ص ١٤٦، وما بعدها.